الفصل الأول

الإستراتيجية الصهيونية

الفصل الأول
إستراتيجية الصهيونية

سنة الدفع الإلهي

لما أَزَّلَ الشيطانُ آدمَ وحواءَ فأكلا من الشجرة المحرمة أخرجهما الله تعالى من الجنة التي كان يتعلمان فيها ، وبيَّن لهما طبيعة الحياة { وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ } (البقرة : ٣٦)

فالعداء بين البشر جبلة إنسانية ، يثيرها الشيطان ، والهوى ، والنفس الأمارة بالسوء ، ومتاع الدنيا .

ومنذ بدء الخليقة نجد الصراع بين الخير والشر أو بين النفوس التقية ، والنفوس الفاجرة ، بين من يضحي بنفسه من أجل الآخرين ، ومن يضحي بالآخرين من أجل نفسه . بين من يؤمن بأنه لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى ، وبين من يؤمن بتفوقه الجنسي أو التقني . بين من يتبع المنهج الإلهي الذي جاء به رسل الله عليهم صلوات الله تعالى، ومن يتبع خطوات الشيطان عليه لعنته عز وجل .

والمنهج الإلهي ينهى عن استخدام القوة في الاعتداء على الضعفاء إنما يأمر بامتلاك القوة للدفاع عن النفس ومساعدة المستضعفين من بني الإنسان مهما كان

جنسهم ولونهم ودينهم { وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ } (البقرة : ١٩٠)

{ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ } (البقرة : ١٩٣)

فهذا أمر من الله للمؤمنين بمقاتلة المستبدين البغاة الذين يفتنون المؤمنين في دينهم أو يقهروهم في أوطانهم وهذا ما فعله المؤمنون على مدى التاريخ ، ولقد قضت مشيئة الله تعالى أن يدمر على كل ظالم طغى في البلاد وأكثر فيها الفساد .

{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ {6} إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ {٧} الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ {٨} وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ {٩} وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ {١٠} الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ {١١} فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ {١٢} فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ {١٣} إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ }

(الفجر : ٧-١٤)

قوله تعالى: "الذين طغوا في البلاد" يعني عاداً وثموداً وفرعون "طغوا " أي تمردوا وعتوا وتجاوزوا القدر في الظلم والعدوان. "فأكثروا فيها الفساد" أي الجور والأذى. أي تمردوا وعتوا وعاثوا في الأرض بالإفساد والأذية للناس، {فصبّ عليهم ربك سوط عذاب} أي أنزل عليهم رجزاً من السماء، وأحل بهم عقوبة لا يردها عن القوم المجرمين، وقوله تعالى: {إن ربك لبالمرصاد} قال ابن عباس: يسمع ويرى يعني يرصد خلقه فيما يعملون، ويجازي كلاً بسعيه في الدنيا والأخرى، وسيعرض الخلائق كلهم عليه فيحكم فيهم بعدله ويقابل كلاً بما يستحقه وهو المنزه عن الظلم والجور .

إذن الله تعالى ناصر الفئة المؤمنة دائماً متى نصروا شرعته ومنهاجه وأخذوا في أسباب النصر وصبروا وصابروا .

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ } (محمد : ٧)

هذه هو المنهج الإلهي ، فهل طبقناه حتى ينصرنا الله تعالى على أعدائنا : أمريكا، وإسرائيل ، ومن يشايعهما ؟!

إن عدونا ماكر لئيم ، وإن استراتيجيته دقيقة محكمة ، لذا يجب عدم التسرع في الحكم عليها . والتعامل مع هذه الاستراتيجية يجب أن يكون وفق فهم ، ووعي بالغين، فإن الخطأ في فهم استراتيجية العدو نجاح لها ، وتعجيل بإتمامها .

وسنحاول نحن الآن أن نكشف عن استراتيجية عدونا، ونبين مسارها التاريخي ، ثم نبين موقف العرب منها : حكومات وشعوب ، ثم نبين المنهاج الإلهي الذي ارتضاه تعالى للناس ليفوزوا بالدارين .{فَآتَاهُمُ الله ثَوَابَ الدنيا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخرة}

الحياة الدنيا دار امتحان وبلاء ، وصراع وعداء ، والإنسان في الدنيا له أعداء وأصدقاء ، والعاقل من يعرف عدوه ليَحْذَرَه كما يعرف صديقه ويُكْبِرَه لذا كان مبدأ " اعرف عدوك " مبدأ حقيق بكل إنسان عاقل أن يأخذ به ، فإذا كان لك عدو فمن الحكمة أن تعرف كيف يفكر في ضرك ، حتى تتقي شره ، لكن لا ينبغي أن تكتفي بمعرفة عدوك فقط ، ومعرفة استراتيجيته تجاهك ، بل عليك أن تخطط لإبطال هذه الاستراتيجية بالوسيلة المناسبة لها بعيداً عن المهاترات ، والشعارات الجوفاء .

إن أخطر ما شهد العالم في العصر الحديث من فكر إجرامي خبيث هو ما يعرف بالصهيونية العالمية ، ذلك الإخطبوط الذي استطاع أن يمسك بشعوبنا الضعيفة ويمتص دماءها . مستخدماً تقدمه العلمي والتكنولوجي ، ومستغلاً ضعف وتخلف شعوبنا ، وبدلاً من تحديث تلك الشعوب وتطويرها ، والأخذ بيدها نحو التقدم ، كما فعلت هي من قبل تجاهه ، حين كان الغرب يعيش في ظلام الجهل والتخلف ، راحت تعمل على إضعافه ، وتمزيقه حتى يكون لقمة سائغة لها !

ما هي الصهيونية ؟ وما أهدافها ؟

للصهيونية مفهومات عديدة ومتنوعة يمكن أن نجملها في مفهومين أساسين هما : صهيونية دينية ، وصهيونية سياسية .

أولا : الصهيونية الدينية .

تشير كلمة " صهيون " في التراث الديني اليهودي إلى جبل صهيون والقدس، بل إلى الأرض المقدَّسة ككل، ويُشير اليهود إلى أنفسهم باعتبارهم " بنت صهيون ". كما تُستخدَم الكلمة للإشارة إلى اليهود كجماعة دينية .

وقد كان العيش في فلسطين يُعَد عملاً من أعمال التقوى لا عملاً من أعمال الدنيا، وجزاؤه يكون في الآخرة أو في آخر الأيام، ولذا فإنه لا تربطه رابطة كبيرة بالاستيطان الصهيوني، وخصوصاً أن اليهودية الحاخامية (الأرثوذكسية) تُحرِّم محاولة العودة الجماعية الفعلية إلى فلسطين وتعتبرها تجديفاً وهرطقة ومن قبيل " التعجيل بالنهاية ". فاليهودية تؤمن بأن العودة إلى أرض الميعاد ستتم في الوقت الذي يحدده الرب وبطريقته، وأنها ليست فعلاً بشرياً يتم على يد البشر. وهذه النزعة الصهيونية الدينية لا علاقة لها بالاستيطان الصهيوني الفعلي والمادي في فلسطين . (1)

ثانيا : الصهيونية السياسية .

كان الوهن الذي دب في أوصال الدولة العثمانية (رجل أوربا المريض) قد بدأ يظهر ويتضح، وكانت كل القوى الغربية تفكر في طريقة للاستفادة من هذا الضعف لتحقق لنفسها بعض المكاسب. وقد أخذ هذا شكل الهجوم المباشر من روسيا التي ضمت بعض الإمارات التركية على البحر الأسود، ثم هجوم نابليون على مصر، بينما قررت

(1) د. عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م٦ ج١ الباب الأول التعريف بالصهيونية .

إنجلترا، ومن بعدها ألمانيا (في مراحل مختلفة) الحفاظ على هذه الإمبراطورية مع تحقيق المكاسب من خلال التدخل في شئونها و"إصلاحها" حتى تقف حاجزاً ضد أي زحف روسي محتمل .

ولعل أهم حقيقة سياسية في هذه المرحلة هي ظهور محمد علي المفاجئ وقيامه بتكوين إمبراطوريته الصغيرة. فقد قلب موازين القوى وهدد المشروع الاستعماري الغربي الذي كان يفترض أن العالم كله إن هو إلا ساحة لنشاطه وسوق لسلعه، ووضع حداً لآمال الدول الغربية التي كانت تترقب اللحظة المواتية لاقتسام تركة الرجل المريض المحتضر. ولذا تحالفت الدول الغربية كلها، ومنها فرنسا، وعقدت مؤتمر لندن عام ١٨٤٠ وقررت فيه الإجهاز عليه، فاضطرته إلى التوقيع على معاهدة لندن لتهدئة المشرق .

وعند هذه النقطة تبلورت الفكرة الصهيونية بين غير اليهود، وتحوَّلت من مجرد فكرة إلى مشروع استعماري محدد، إذ بدأت تُطرَح فكرة تقسيم الدولة العثمانية ومن ثم اكتسبت الصيغة الصهيونية الأساسية مضموناً تاريخياً وبُعْداً سياسياً، وأصبح بالإمكان دمج المسألة اليهودية (مسألة الشعب العضوي المنبوذ) مع المسألة الشرقية (تقسيم الدولة العثمانية) وطُرحت إمكانية توظيف الشعب المنبوذ وبدأ التفكير في حل المسألة اليهودية عن طريق نَقْل اليهود إلى فلسطين وإيجاد قاعدة للاستعمار الغربي .

ويمكن أن نرصد عدة مراحل مرت بها الصهيونية السياسية هي :

١- أصبح مفهوم الصهيونية مفهوماً أساسياً في الخطاب السياسي الغربي عام ١٨٤١ مع نجاح أوربا في بلورة مشروعها الاستعماري ضد العالم العربي والإسلامي الذي حقق أول نجاح حقيقي له في القضاء على مشروع محمد علي في تحديث مصر والدولة العثمانية، ومع تفاقم المسألة اليهودية التقت المسألة الشرقية بالمسألة اليهودية وساد التصوُّر القائل بإمكان حل المسألتين من خلال دمجهما .

٢- تمت بلورة المفاهيم الصهيونية وملامح المشروع الصهيوني بشكل كامل في الفترة بين منتصف القرن التاسع عشر وعام ١٨٨٠ على يد المفكرين الصهاينة غير اليهود لورد شافتسبري ولورانس أوليفانت. وقد لخص شافتسبري التعريف الغربي لمفهوم الصهيونية في عبارة أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض (في كلمات تقترب كثيراً من الشعار الصهيوني). وقد حاول أوليفانت أن يضع المشروع الصهيوني موضع التنفيذ .

٣- بدأت النزعات الصهيونية تظهر بين اليهود أنفسهم في أواخر القرن التاسع عشر مع تفاقم المسألة اليهودية، وعبَّرت عن نفسها في بادئ الأمر عن طريق المساعدات التي كان أثرياء اليهود في الغرب يدفعونها للجمعيات التوطينية المختلفة التي كانت تهدف إلى توطين يهود شرق أوربا في أي بلد (ويشمل ذلك فلسطين) حتى لا يهاجروا إلى غربها فيعرِّضوا مكانتهم الاجتماعية وأوضاعهم الطبقية للخطر .

٤- وقد قام هرتزل بصياغة المفهوم والعقد الصامت بين الحضارة الغربية والحركة الصهيونية الذي تتعهد بمقتضاه الحضارة الغربية بأن تقوم بنقل اليهود إلى فلسطين وتأسيس دولة وظيفية لهم فيها، ورعايتها وحمايتها وضمان بقائها واستمرارها نظير أن يقوم اليهود على خدمة مصالح الغرب .

٤- تَبلور المفهوم الغربي للصهيونية تماماً في وعد بلفور الذي مُنح "للشعب اليهودي" والذي أشار للعرب باعتبارهم الجماعات غير اليهودية، أي أن اليهود أصبحوا شعباً بلا أرض وفلسطين أصبحت أرضاً بلا شعب .

٥- وفي الوقت الحاضر، فإن كلمة " صهيونية " تعني في العالم العربي "الاستعمار الاستيطاني الإحلالي في فلسطين الذي تَرسَّخ بدعم من الغرب". وتحمل الكلمة إيحاءات دينية لدى كثير من العرب المسلمين أو المسيحيين الذين يرون أن الصراع العربي/الإسرائيلي صراع ديني .

ويُلاحَظ أن كثيراً من الأُسس التي تستند إليها الصهيونية السياسية قد اختفى بفعل التطورات التاريخية. فيهود العالم الغربي قد تناقص عددهم واندمجوا بشكل شبه تام في مجتمعاتهم، ولم يَعُد هناك مجال للحديث عن "عدم نفعهم". كما أن عملية نَقْل اليهود ونفي العرب اكتملت معالمها إلى حدٍّ كبير، وخصوصاً أن الترانسفير بعد تأسيس الدولة أصبح عملية هجرة تتم في ظلال قانون العودة .

أما بالنسبة للسكان الأصليين فقد تم نفي غالبيتهم عام ١٩٤٨، ولكن بعد عام ١٩٦٧ أصبح من الصعب التخلص منهم. وما تبقَّى من الصيغة الصهيونية الأساسية الشاملة هو دولة وظيفية يدعمها الغرب ويضمن بقاءها وتقوم هي على خدمته وعلى تجنيد يهود العالم وراءها لخدمتها وخدمة العالم الغربي ، وهذا ما يُشكِّل أساس الإجماع الصهيوني . (1)

تظل الصهيونية السياسية حتى نهاية القرن التاسع عشر مجرد فكرة، ولكنها تتحول إلى حركة منظمة بعد مرحلتي : هرتزل ، وبلفور ومضمونها أن يتم التوظيف من خلال دولة وظيفية على أن تشرف على العملية إحدى الدول الاستعمارية الكبرى في الغرب التي تُؤمِّن للمستوطنين موطئ قدم وتضمن بقاء واستمرار الدولة الوظيفية الاستيطانية. ومع وعد بلفور، يصبح المكان الذي ستقام فيه الدولة الوظيفية هو فلسطين .

ويمكن تقسيم الصهيونية السياسية إلى ضربين أساسيين : صهيونية توطينية وأخرى استيطانية، ولكلا الصهيونيتين اتجاهه وتاريخه وجماهيره :

١- **الصهيونية التوطينية** : وجمهور هذه الصهيونية هم مؤيدو المشروع الصهيوني في العالم الغربي ويهود الغرب الذين يؤيدون المشروع الصهيوني ولكنهم لا ينوون

(1) لمزيد من التفصيل حول الصهيونية راجع د. عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م٦ ج١ الباب الأول التعريف بالصهيونية .

الهجرة، وهم يشكلون غالبية يهود وصهاينة العالم، وكذلك كل يهود غرب أوربا والولايات المتحدة تقريباً .

٢- **الصهيونية الاستيطانية :** وقد ظهرت في بداية الأمر على هيئة صهيونية تسللية ثم تحوَّلت إلى صهيونية استيطانية بعد مرحلة هرتزل وبلفور. وأهم التيارات الاستيطانية التيار العمالي، ويأتي معظم الصهاينة الاستيطانيين من يهود شرق أوربا.(1)

ولم يهدأ الصراع تماماً بين التوطينيين والاستيطانيين. فحتى عام ١٩٤٨، كان الصراع يدور حول من يتحكم في المنظمة وحول تحديد أهداف المشروع الصهيوني. أما بعد عام ١٩٤٨، فإن مجال الصراع أصبح تعريف اليهودي (الديني والعلماني) إذ حُسمت قضية التحكم في المنظمة لصالح المستوطنين تماماً، ولم يعد الصهاينة التوطينيون يهتمون بها . (٢)

اليهودية ديانة سماوية كغيرها من سائر الديانات السماوية الأخرى ،أما الصهيونية فحركة سياسية عنصرية متطرفة ومن حسن الحظ أن كثيراً من اليهود ليسوا صهاينة .

وعندما أراد تيودور هرتزل أن يؤسس إسرائيل عارضه معظم الحاخامات ؛ فالصهيونية ما هي إلا هذه البدعة المتشددة العظمى التي غيرت الرسالة الإلهية بإعطائها هذا التبرير الأيديولوجي لقومية عدوانية ، وتم تبديل إله إسرائيل بدولة إسرائيل .

إن المطلب الوارد في التوراة عن إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات هو أساس قائم على قراءة متطرفة للتوراة أي قراءة تحريفية تحول الأقوال العظيمة التي قالها الآباء الكهنة والرسل لتجعل منها تاريخا قوميا وحتى قبليا .

---

(1) د. عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود والصهونية " م٦ ج١ الباب الأول التعريف بالصهيونية .
(2) نفسه م٦ ج٢ الباب الأول تاريخ الصهيونية .

إن هذا المطلب هو بدعة تدعم السياسة الصهيونية . وهي تؤدي إلى المفارقة التالية، فَحَسَب إحصاءات الحكومة الإسرائيلية فإن ١٥ % فقط من الإسرائيليين متدينون وبالرغم من ذلك فإنها تحاول أن تجعل الغالبية العظمى من الشعب يؤمن بأن هذه الأرض – الممتدة من النيل إلى الفرات – ملك له لأن الله قد وعده بها هذا الإله الذي لا يؤمن به الشعب .

إن بن جوريون الكافر هو الذي أطلق هذا الشعار المذكور . في إسرائيل يقدمون لهم التوراة عن مملكة داود الثالثة ، وعندما يستدعون الشباب للجندية في إسرائيل يقدمون لهم التوراة وفيها خريطة عن إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات ، ويقولون إن تفكك المستوطنات خيانة كبرى لليهودية . (1)

فالصهيونية عقيدة قومية لم تولد من الديانة اليهودية بل من القومية الأوربية في القرن التاسع عشر ، ولم يحرك مؤسس الصهيونية هرتزل دافع ديني بل عقيدة سياسية قومية استعمارية فهو يقول في يومياته :

" إنني لا أنقاد لأي دافع ديني .. فأنا لا غنوصي (أي أنه من اللاأدرية) "

فهو لاتهمه الأرض المقدسة بوجه خاص فهو يقبل أيضا ومن أجل أهدافه القومية الاستعمارية بأوغندا أو طرابلس أو قبرص أو الأرجنتين أو موزمبيق أو الكونغو .. ولكن أمام معارضة أصدقائه من اليهود فإنه يعي أهمية الأسطورة القوية التي " تمثل صيحة للمِّ الشعث ذات قوة لا تقهر " (2)

فالصهيونية عقيدة سياسية ، وقومية عنصرية ، وأيديولوجيا استعمارية تلك هي الخصائص التي تشرح السياسة الصهيونية التي انتصرت في مؤتمر بازل في أغسطس ١٨٩٧ م .

---

(1) رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " دار الغد العربي . ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ .
(2) نفسه ص ١٨

ولكن هذه العملية السياسية والقومية والاستعمارية لم تكن بأي حال تمثل روحانية الديانة اليهودية ، ففي نفس وقت انعقاد مؤتمر بازل انعقد مؤتمر في مونتريال في أمريكا جاء في بيانه الختامي :

" إننا نشجب تماما أي مبادرة تهدف إلى إنشاء دولة يهودية ، وإن أي محاولات من هذا القبيل تكشف عن مفهوم خاطئ لرسالة إسرائيل .. التي كان الأنبياء اليهود هم أول من نادى بها .. ونؤكد أن هدف اليهودية ليس بهدف سياسي ولا قومي ، ولكن روحي .. (1)

في هذا المؤتمر تمسك اليهود بروحانية اليهودية ، واعترضوا على المنحى الذي سلكه هرتزل في مؤتمر بازل الذي انتقى من الديانتين اليهودية والمسيحية ما يبرر أهدافه السياسية الاستعمارية " فهو يشير إلى عصر مسيحي حيث يعترف كل الناس بأنهم ينتمون إلى طائفة واحدة كبرى لإنشاء مملكة الرب على الأرض . " (2)

وهكذا كان رد الفعل الأول للمنظمات اليهودية ابتداء من " رابطة حاخامات ألمانيا " وحتى " الاتحاد الإسرائيلي العالمي لفرنسا " و " الاتحاد الإسرائيلي في النمسا " وكذلك الرابطات اليهودية في لندن .

وهذه المعارضة حيال الصهيونية السياسية المستوحاة من التمسك بروحانيات الديانة اليهودية ، ما فتئت تعبر عن نفسها حتى في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، عندما استغلت الصهيونية الإسرائيلية مرة أخرى المخاصمات والمشاحنات التي دارت بين الدول في الأمم المتحدة ، ولاسيما التأييد غير المشروط من الولايات المتحدة لكي تفرض نفسها كقوة مهيمنة ، وتمكنت بفضل مختلف أنواع اللوبي من عكس الاتجاه

(1) المؤتمر المركزي للحاخامات الأمريكيين الكتاب السابع ١٨٩٧ ص ١٢ نقلا عن " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ٢١

(2) نفسه ص ٢١ .

وإنجاح سياسة القوة الإسرائيلية الصهيونية على العكس ما كان متوقعا ولكنها مع ذلك لم تفلح في تكميم نقد كبار الروحانيين .

نقول هذا لأن كثيراً من الكتابات العربية والإسلامية تخلط خلطاً فاضحاً بين اليهودية كديانة والصهيونية كسياسة ، فالصهيونية قراءة مغلوطة ومتعصبة لليهودية ومن الخطأ الفاضح وسم الجماعات اليهودية كافة بميسم واحد ، ووصفها جميعاً بصفات واحدة تميزهم عن سائر البشر " وغني عن القول أن هذا المفهوم يُفسِّر الواقع كله بصيغة واحدة بسيطة جاهزة ، ومن ثم فهو يتجاهل واقع أعضاء الجماعات اليهودية المُركَّب غير المتجانس، وهو واقع لا يخضع لقانون عام ولا ينضوي تحت نمط متكرر واحد . " (١)

الأهداف الاستراتيجية للصهيونية السياسية :

لكل حركة أو تنظيم أهداف يسعى لتحقيقها ولما كانت الصهيونية تقوم على الفكر الغربي العلماني الاستعماري الذي يهدف إلى التخلص من العناصر اليهودية المنبوذة بتوطينهم في فلسطين – كما بينا – لذا جاءت أهداف الصهيونية في صالح الغرب المسيحي الاستعماري ومن تحالف معهم من اليهود الرأسماليين وليس في صالح اليهود بعامة ولا صالح الشعوب العربية التي ابتليت بهم .

ولقد اعتقد الكثير أن الصهيونية حركة يهودية دينية ، وأن كلمة صهيوني مرادفة لكلمة يهودي والذي أوقع الكثير في خطأ قصر الصهيونية على اليهود فقط وأن أشهر الأسماء التي ارتبطت بالصهيونية السياسية كانت يهودية مثل : تيودور هرتزل ، اللورد روتشيلد ، حاييم وايزمان ، ناحوم جولدمان ، بن جوريون والدارس لحياة هؤلاء الأشخاص وغيرهم من اليهود الصهاينة يتضح له أنهم جميعا ينطلقون من أيديولوجية

(1) د. عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م ٢ / ج ١ " طبيعة اليهود " .

علمانية غربية لا تحركها إلا دوافع مادية نفعية لا دينية ولقد واجه هؤلاء الصهاينة اعتراضات كبيرة من اليهود المتدينين – كما بينا – ونظرة إلى أهداف الصهيونية التي تحققت يتبين لنا جلياً لمصلحة من كانت الحركة الصهيونية تهدف ، ويمكن أن نجمل أهداف المخطط الصهيوني في الآتي :

١- تخلص الغرب من مشاكل اليهود على كافة المستويات : القومية ، والسياسية، والاقتصادية ، تلك المشاكل التي باتت تهدد النهضة الغربية .

٢- نقل دور اليهود كجماعة وظيفية كانت تقوم بدور تسخير الطبقات الشعبية الدنيا لصالح الطبقة الأرستقراطية الحاكمة إلى فلسطين لتسخير العرب لتحقيق المصالح الغربية الاستعمارية التي تتمثل في :

أ- السيطرة على موارد العرب الطبيعية وخاصة البترول الذي يعد أمراً حيويّاً لمنظومة الصناعة في الغرب .

ب-السيطرة على الأسواق العربية التي تعد أهم المنافذ لتسويق السلع الغربية (من الإبرة للصاروخ) .

ج- استثمار رأس المال الغربي في البلاد العربية التي تعد أصلح المناطق لاستثمار هذه الأموال نظراً لتوفر العمالة الماهرة الرخيصة ، والموارد الطبيعية ، والقرب من منافذ تسويق السلع المنتجَة .

٣- تمزيق الخلافة الإسلامية ، وضرب المشروع العربي الإسلامي الذي بدأه محمد على والذي بات يهدد أوروبا والعمل على إجهاض أي مشروع عربيٍّ أو إسلاميٍّ مزمع قيامه .

٤- العمل على تحقيق النبوءة المسيحية بالخلاص ونزول المسيح المخلص والتي لا تتم إلا بقيام دولة صهيون في أرض الميعاد .

٥- إبادة اليهود وغيرهم من غير المسيحيين " فما تضمره المسيحية الإنجيلية، أو المسيحية الصهيونية أو الصهيونية المسيحية هو دعوة اليهود إلى العودة إلى أرض الميعاد – فلسطين – تمهيداً إما لتنصيرهم أو لإبادة معظمهم . "

هذه هي أهم أهداف الصهيونية وهي في عمومها تصب في صالح الغرب المسيحيِّ في المقام الأول والأخير .

إن الدولة الصهيونية ، في واقع الأمر، ما هي إلا أداة في يد الاستعمار الأمريكي على وجه الخصوص ، والغربي على وجه العموم، وهذا هو العدو الحقيقي الذي يحاول أن يفرض منظومته على العالم فيُحوِّله إلى سوق ومصنع ، والدولة الصهيونية هي الوسيلة والجزء وليست الغاية والكل ... ولعل موقف بلفور (وكل الصهاينة من غير اليهود) هو خير تعبير عن هذا الموقف الذي ينم بلا شك عن تسامح مع اليهود حيث وقف إلى جوارهم حتى أعلن الوعد المعروف باسمه عام ١٩١٧. ولكن من الواضح أن تسامحه هذا نابع من رغبته في وضع اليهود في خدمة المصالح الإمبريالية البريطانية بحيث يحولهم إلى أداة لقمع العرب واغتصاب أرضهم. ومن ثم، نجد أن بلفور المتسامح هو نفسه الذي حاول أن يوقف هجرة يهود اليديشية إلى إنجلترا، واستصدر من القوانين ما يكفل ذلك حينما كان رئيساً للوزراء. فكأن تسامحه مع المشروع الاستيطاني الصهيوني تعبير عن رغبته الصادقة في التخلص منهم وتوظيفهم. ويمكن أن نقول الشيء نفسه عن نابليون بونابرت وغيره من الزعماء الغربيين ممن أبدوا تسامحاً كبيراً تجاه اليهود." (١)

آليات تنفيذ المخطط الصهيوني

أعلن هرتزل هدف الصهيونة في مؤتمر بازل قائلا : "إن الصهيونية تستهدف أن تُنشئ للشعب اليهودي، وطنًا في فلسطين، مضمونًا بوساطة القانون العام .

(١) د . عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م ٢ / ج ٣ .

وللوصول إلى هذا الهدف يُطالب المؤتمر بالوسائل الآتية :

١. تطوير استعمار فلسطين على أحسن وجه، بالمزارعين والمِهَنِيِّين، والتجار اليهود.

٢. تنظيم اليهود، وتوحيدهم في العالَم أجمع، في تشكيلات محلية أو قومية، تبعًا لقوانين كل بلد .

٣. تقوية الشعور القومي اليهودي، ووعيهم بأنهم قومية .

٤. المساعي التحضيرية للحصول على موافقة الحكومات، التي هي ضرورية لبلوغ أهداف الصهيونية .

وقد ظل هذا البرنامج دستور الحركة الصهيونية حتى المؤتمر الثالث والعشرين الصهيوني عام ١٩٥١، في أورشليم، حيث صيغت الأهداف بطريقة جديدة .

ولقد اعتمدت الصهيونية في تحقيق استراتيجيتها الاستيطانية على :

١ – نصوص الكتاب المقدس بعهديه القديم (التوراة) والجديد (الإنجيل) .

استعارات الصهيونية السياسية الفكرة الأساسية من الصهيونية الدينية التي كانت منتشرة في القرون الوسطى . وطورت فكرة عودة اليهود الحتمية من التشتت في الكرة الأرضية إلى جبال صهيون في أورشليم أي إلى أرض الأجداد معتمدا على أمور الدين اليهودي المُسَلَّم به ، ومعتمدة على ما جاء في الكتاب المقدس من أن فلسطين " الأرض المقدسة " سترجع إلى أبناء سكانها القدماء في يوم ما . (١)

ولقد أسَّس الصهيونيون أسطورة "العودة" على أسطورة الاستمرار العرقي والتاريخي بين العبرانيين الكتابيين، وبين اليهود المعاصرين، وقد حاولوا حمْل الآخرين على

(1) الكاتبة الروسية جالينا نيكيتينا : " دولة إسرائيل خصائص التطور السياسي والاقتصادي " دار الهلال ص ١٧ .

الاعتقاد بأن كل "يهوديٍّ" أينما وُجد في العالم، عندما يَجيء إلى إسرائيل ـ إنما "يعود" إلى أرض أجداده، في حين يُقرِّر الواقع أن ٩٩% على الأقل مِن اليهود المعاصرين ليس مِن أجدادهم أحد وطئت قدماه أرض فلسطين، بسبب التحوُّل مِن ناحية، وبسبب الزيجات المختلطة خلال القرون من ناحية أخرى .

فهرتزل عندما صاغ الشعارات: "نحن شعب"، "وفلسطين وطننا التاريخي الذي لا يُنْسَى" فإنه لم يفعل سوى أن تناول ما أطلق عليه هو نفسه: "الأسطورة العظيمة".

٢- استخدام اليهود كجماعة وظيفية لتنفيذ المخطط الاستعماري الاستيطاني .

إن أهم العناصر على الإطلاق التي ساهمت في نجاح الصهيونية السياسية هو ظهور الإمبريالية الغربية كقوة عسكرية وسياسية عالمية (بمعنى أن ساحتها العالم بأسره) تُجيِّش الجيوش وتنقل السكان وتقسم العالم .

وقد وجدت الإمبريالية الغربية في أعضاء الجماعات اليهودية ضالتها باعتبارهم مادة استيطانية تسبب مشاكل أمنية إن بقيت داخل العالم الغربي، ولكنها تستطيع أن تزيد نفوذه إن نُقلت خارجه وتحولت إلى مادة قتالية تعمل لحساب الغرب داخل نطاق الدولة الوظيفية. ووجدت القيادات الصهيونية بدورها أن ثمة إمكانية لوضع المشروع الصهيوني موضع التنفيذ من خلال تَقبُّل الوظيفة القتالية المطروحة .

ويجب ملاحظة أن الصهيونية التوطينية ظهرت في غرب أوربا حيث كان عدد اليهود صغيراً وحيث حقق أعضاء الجماعات اليهودية قدراً عالياً من الاندماج والعلمنة في مجتمعات كانت تحل مشاكلها الاجتماعية عن طريق الاستعمار وغير ذلك من الآليات. أما الصهيونية الاستيطانية فقد ظهرت أساساً في شرق أوربا حيث توجد كثافة سكانية يهودية ضخمة، وحيث تفاقمت القضايا الاجتماعية دون حل حتى عام ١٩١٧ .

ثم ظهرت الصهيونية النفعية (صهيونية المرتزقة) بعد ذلك بين يهود الدول العربية منذ عام ١٩٤٨، وبين يهود الاتحاد السوفيتي بعد عام ١٩١٧، وتصاعدت وتيرتها بعد عام ١٩٧٠. والسياق التاريخي للصهيونية النفعية يتفاوت من بلد لآخر، ومن جماعة يهودية إلى أخرى. (1)

٣- استخدام المذهب البروتستانتي لتأييد المخططات الصهيونية .

عندما ظهر المذهب البروتستانتي على يد مارتن لوثر في القرن السادس عشر، قلب المسيحية رأساً على عقب، من خلال التغيرات اللاهوتية التي جاء بها والتي روَّجت لفكرة أن اليهود أمة مفضلة وأكدت على ضرورة عودتهم إلى أرض فلسطين كمقدمة لعودة المسيح المنتظر وبزوغ فجر العصر الألفي السعيد .

أصبح العهد القديم يشكل جزءاً مهمّاً من مصادر العقيدة البروتستانتية، فأصبح هو المرجع الأعلى للسلوك والاعتقاد ومصدراً للتعاليم الخلقية والمعلومات التاريخية أيضاً.

احتلت فكرة عودة المسيح إلى الأرض، مكاناً رئيسياً في الفكر المسيحي البروتستانتي . وتقوم هذه الفكرة على أساس الاعتقاد بأن السيد المسيح سيعود إلى الأرض ثانية (قبل بداية الألفية الثالثة للميلاد) ليقيم مملكة الله على الأرض والتي ستدوم ألف عام (العصر الألفي السعيد) حيث سيحكم العالم من مقره في مدينة القدس . ويعتقد المسيحيون البروتستانت أنه لابد من حدوث بعض الأمور كمقدمة لهذه العودة وهى :

أ- إقامة دولة إسرائيل بحدودها التوراتية من النيل إلى الفرات وعودة اليهود إليها

ب- إقامة الهيكل اليهودي .

ج- وقوع معركة فاصلة بين قوى الخير وقوى الشر تسمى(هرمجيدون) .

---

(1) د . عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م٦ ج١ الباب الثالث: العقد الصامت بين الحضارة الغربية والحركة الصهيونية .

يقول هرتزل في يومياته : " إن المسيحيين المتدينين فِي إنجلترا (البروتستانتية) سوف يساعدوننا إذا ما ذهبنا إلى فلسطين؛ لأنهم ينتظرون عودة المسِيح عِندما يعود اليهود إلى بلدهم .. ومع جولد سمِيد وجدتني فجأة فِي عالم آخر.

إنه يرِيد أن يسلِم قبر المسِيح للمسيحيين، على أن يتعاوروه فِيما بينهم، صلاة بِصلاة، نصف لموسكو، والآخر لروما!! وكان، شأنه شأن مونتاجو، يفكِر فِي "فلسطين الكبرى" (١)

٤ – استخدام الاضطهاد الغربي لليهود .

مما ساعد على نجاح المشروع الصهيوني فظاعة " جيتو " العصور الوسطى اليهودي ، فعندما دب اليأس إلى اليهود الفقراء وجدوا أملهم الأخير في الصهيونية الدينية ، ويعبر النشيد الديني عن هذا الحلم قائلا : لا نزال مشردين في هذا العالم ولكن في العام القادم سنكون في أورشليم .

" لا نزال عبيداً في هذا العام ، ولكن في العام القادم سنكون أناساً أحراراً " (٢)

وهكذا أصبحت الدولة اليهودية هي العلاج الوحيد لكل مصائب ومآسي اليهود . وبدا اليهود المشتتون بين البلاد المختلفة " كأمة يهودية واحدة " ويشرح أيديولوجيو الصهيونية فلسفة هرتزل باستخدامه لاصطلاح " المشكلة القومية " أنه كان يريد أن يقول أن المشكلة اليهودية ليست مشكلة فقراء اليهود فقط كما يظن الخيرون على اختلافهم ، ولكنها كذلك مشكلة أغنياء اليهود وكافة اليهود عموما ممن يعيشون في ظروف غير عادية فمعاداة السامية موجهة إليهم قبل أي شيء . كما أن المشكلة اليهودية تمس كل اليهود بصرف النظر عن الوضع الاقتصادي والاعتقاد الديني لأننا كلنا شعب واحد . (٣)

---

(1) يومِيات هرتزل الكامِلة . " نوفمبر عام ١٨٩٥ جـ ١ صِ ٢٨٢ " .

(2) الكاتبة الروسية جالينا نيكيتينا " دولة إسرائيل خصائص التطور السياسي والاقتصادي " مرجع سابق ص ١٧، ١٨

(3) نفسه ص ١٨ .

لقد ظلت الصيغة الصهيونية حتى نهاية القرن التاسع عشر مجرد فكرة إلى أن الحادثة التي أثارت اليهود كثيرا ودفعتهم إلى تكوين أول مؤتمر يجمعهم هي " مذبحة ليشينيف " الشهيرة التي كشفت اضطهاد روسيا القيصرية لليهود ومعاملتهم بعنف وقسوة .

وتعترف الدولة الصهيونية بأن الاضطهاد الأوربي لليهود هو الذي ولَّد الصهيونية السياسية : " وقد تبلورت الصهيونية السياسية رداً على الاضطهاد وملاحقة اليهود المستمرة في أوروبا الشرقية، ونتيجة لخيبة الأمل المتزايدة من حركات التحرر في أوروبا الغربية التي لم تضع حداً للتمييز ضد اليهود ولم تؤد إلى دمجهم في المجتمعات المحلية. " (1)

وانتهز صحفي نمساوي هو " تيودور هرتزل " حوادث العنف ضد اليهود وعمل على إثارة عطف الدول الأوربية ، وساعده في ذلك كاتبان فرنسيان هما ، أميل زولا ، وكليمونصو .

واستطاعوا جميعا أن يضعوا أرضية سياسية مناسبة ليصدر هرتزل كتابه " الدولة اليهودية " ينادي بالتجمع لبناء دولة يهودية .

حدد هرتزل فِي مقدمة كتابه (الدولة اليهودية) عام ١٨٩٦م بكل وضوح على أية قوة سوف يعتمِد فِي تحقِيق المشروع الصهيوني للكفاح ضِد دمج اليهودية فِي بِلادهم الخاصة وللهجرة إلى فلسطين .

وكتب يقول: " هذا المشروع ينطوي على اِستِخدام قوة محركة موجودة فِي الواقِع، كل شيء يجرِي علي القوة المحركة، فما هذِهِ القوة ؟ إنها محنة اليهود " (٢)

---

(1) نقلا عن موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية على الإنترنت .

(2) تيودور هرتزل " الدولة اليهودية " مرجع سابق ص ١١

ويقول المؤرخون الأكاديميون اليهود " ظل الصهيونيون حركة أقلية بين الشعب اليهودي حتى وقعت الهولوكست (الكارثة) .. التي ساهمت في إقناع الشعب اليهودي، مع استثناءات قليلة، لمساندة قيام دولة يهودية حديثة في أرض إسرائيل. يستطيع اليهود هناك أخيرا أن يحكموا ويدافعوا عن أنفسهم ولن يعودوا تحت رحمة الشعوب التي لا تهتم برفاهيتهم، أو تلك التي تعمل على اضطهادهم أو على تدميرهم . (١)

عوامل نجاح الاستراتيجية الصهيونية .

إن قيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين ، واعتراف العالم الغربي بها ، وتفوقها على العرب : عسكريّاً ، وعلميّاً ، وتكنولوجيّاً ، واقتصاديّاً . واحتلال أمريكا لأفغانستان والعراق ، وخضوع بقية الدول العربية للهيمنة الأمريكية الغربية ، كان وراءه عوامل ساهمت في نجاحه وهذه العوامل تنقسم إلى ثلاثة مجموعات :

١- عوامل عربية داخلية .
٢- عوامل غربية صهيونية .
٣- عوامل يهودية صهيونية .

أولا : العوامل العربية الداخلية .

لقد تضافرت عدة عوامل داخل البلاد العربية أدت إلى إضعاف قوتها ، وتشتت كلمتها ، وهوانها في عين أعدائها ، وفيما يلي رَصْد لأهم عوامل ضعف العرب التي ساهمت في نجاح الاستراتيجية الصهيونية .

١- ضعف الدولة العثمانية وسقوطها .

لقد أصيبت الشعوب الإسلامية في مراحل الدولة العثمانية الأخيرة بالتبلد وفقد

(1) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق .ص ٦٦، ٦٧ . لمزيد من التفصيل حول الصهيونية راجع كتابنا " حقيقة اليهود والصهيونية وأوهام الأمة العربية " دار الإبداع الفصل السابع " الصهيونية أهدافها ووسائلها " .

الإحساس بالذات، وضعف الإيمان ، فاستبدلت الخرافات والبدع بالإيمان الصحيح ، واستبدلت الدَّجَل والبحث في المُغَيَّبات بالعلم والبحث في أسرار الكون .

لقد تحققت في الدولة العثمانية سنة الله في ميراث الأرض .

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ (الحج : ١٠٥)

فعباد الله الصالحون لعمارة الأرض هم ورثتها ، هذه هي سنة الله في خلقه التي لا استثناء فيها ولا محاباة .

إن الدولة العثمانية في بداية أمرها كانت تسير وفق هذه السنة آخذة بشروط التمكين وأسبابه أما في أواخر عهدها فقد انحرفت عن شروط التمكين ، وابتعدت عن أسبابه المادية والمعنوية .

فلقد انحرف سلاطين الدولة العثمانية المتأخرين عن شرع الله فلم يقوموا بعبادة الله على الوجه الصحيح الذي يطهر القلب ويزكي النفس ويسمو بالأخلاق ، ولم يأخذوا في أسباب العلم النافع الذي يُعَمِّر الأرض ويصلحها ، ولم يسيروا في البلاد التي حكموها سير الخلفاء الراشدين بل ساروا فيها سير الحجاج بن يوسف الثقفي فكثرت الاعتداءات الداخلية بين الناس وتعرضت النفوس للهلاك، والأموال للنهب، والأعراض للاغتصاب بسبب تَعَطُّل أحكام الله فيما بينهم، ونشبت حروب وفتن ، وبلايا تولدت على أثرها عداوة وبغضاء لم تزل عنهم حتى بعد زوالهم، وأصبحت شوكة الأعداء من الروس والإنجليز والبلغار والصرب وغيرهم تقوى وتحصلوا على مكاسب كبيرة، وغاب نصر الله عن السلاطين والأمة العثمانية، وحرموا التمكين ، وأصبحوا في خوف وفزع من أعدائهم، وتوالت المصائب ، وضاعت الديار، وتسلط الكفار .

إن من سنن الله تعالى المستخرجة من حقائق الدين والتاريخ أنه إذا عُصي الله

تعالى ممن يعرفونه سلَّط الله عليهم من لا يعرفونه؛ ولذلك سلَّط الله نصارى الغرب على المسلمين في الدولة العثمانية .

إن الذنوب التي يهلك الله بها الدولة ، ويعذب بها الأمم قسمان:

١- معاندة الرسل والكفر بما جاءوا به .

٢- كفر النعم بالبَطَر والأشر، وغمط الحق واحتقار الناس وظلم الضعفاء ومحاباة الأقوياء والإسراف في الفسق والفجور، والغرور بالغني والثروة فهذا كله من الكفر بنعمة الله ، واستعمالها في غير ما يرضيه من نفع الناس والعدل العام، والنوع الثاني من الذنوب هو الذي مارسه أواخر سلاطين الدولة العثمانية وأمراؤهم . (١)

ولمَّا دبَّ في الدولة العثمانية الوَهَن حاول بعض الحكام المحليين الاستقلال الذاتي عن الحكومة المركزية بإطالة فترة حكمهم ، ومحاولة تأسيس أُسَر محلية كالمماليك في العراق، آل العظم في سوريا، المعنيون والشهابيون في لبنان، ومحمد علي في مصر، ظاهر العمر في فلسطين، أحمد الجزار في عكا، علي بك الكبير في مصر، القراملیون في ليبيا . (٢) وهذا الصراع بين الحكام المحليين والدولة العثمانية ساهم في إضعافها ثم سقوطها .

ولقد ساعد ضعف الدولة العثمانية وتراجعها المستمر على إتمام المشروع الصهيوني ؛ فلقد اضطرت الدولة العثمانية إلى تقديم التنازلات القانونية الكثيرة مثل: الامتيازات الأجنبية، ويمكن القول بأن نظام الامتيازات الأجنبية هو المسئول عن تحويل يهود الدولة العثمانية والعالم الإسلامي ككل إلى جماعات وظيفية تابعة لدول أجنبية وتدين

---

(١) انظر: دولة الموحدين لعلي محمد الصلابي، ص١٧٠.

(٢) انظر: العالم العربي في التاريخ الحديث، د. إسماعيل ياغي، ص٩٤.

لها بالولاء وتتمتع بحمايتها. وحاولت الدولة العثمانية التخلص من هذا النظام أو تقليل أضراره دون جدوى إذ أن نظام الامتيازات كان جزءاً لا يتجزأ من الهجمة الإمبريالية الغربية على الشرق، وساعد على إحكام قبضة الإمبريالية على دول العالم العربي وعلى تحويل بنيتها السياسية والاقتصادية إلى بنية تابعة. وقد أُلغي نظام الامتيازات في مصر بمقتضى معاهدة مونتريه عام ١٩٣٧ التي نظمت فترة انتقالية (بقيت خلالها المحاكم المختلطة) حتى عام ١٩٤٩ مما نتج عنه اتساع الثغرة التي سمحت للفائض البشري اليهودي بالتسلل .

ومن المعروف أن الدولة العثمانية كانت ترحب بهجرة اليهود إليها منذ عملية طردهم من أسبانيا. ومع تَزايُد تَدخُّل الدول الأجنبية، وتَزايُد الأطماع في فلسطين، بدأت الدولة العثمانية تحاول أن تمنع الهجرة اليهودية إلى فلسطين (مع استمرار فتح الأبواب خارجها). بل فتحت باب الهجرة أمام اليهود إلى فلسطين شريطة أن يتجنسوا بالجنسية العثمانية، أي شريطة أن يتحولوا من عنصر استيطاني (قتالي) غريب إلى عنصر وطني محلي (وكانت هذه هي السياسة الرسمية حتى عام ١٩١٤). وكانت الدول الكبرى تتدخل لحمل الدولة العثمانية على السماح لليهود بالاستيطان في فلسطين وملكية الأراضي فيها، فاضطرت الدولة العثمانية إلى إصدار قرار عام ١٨٦٧ بمنح الأجانب حق ابتياع الممتلكات في فلسطين، وهو القرار الذي استفادت منه الجمعيات التبشيرية المسيحية والجماعات الاستيطانية المسيحية مثل فرسان الهيكل، كما استفاد منه المستوطنون الصهاينة في مراحل لاحقة. وحينما حاولت الدولة العثمانية منع اليهود من امتلاك العقارات في فلسطين (عام ١٨٨٤)، ادَّعت الدول العظمى أن هذا خرق لنظام الامتيازات. وكان قناصل الدول الغربية يستخدمون نفوذهم لتسهيل عملية استيطان اليهود. وحين صدرت قرارات تحرِّم هجرة اليهود (غير العثمانيين) عام

١٨٨٨ ثم عامي ١٨٩١ و١٨٩٨، عبَّرت الدول الغربية عن استيائها وساعدت المهاجرين على التحايل على هذه القوانين .

وحينما اتُخذ قرار تقسيم أسلاب الدولة العثمانية أثناء الحرب العالمية الأولى ، اتخذ أيضاً القرار بتأييد تنفيذ المشروع الصهيوني في فلسطين ومن ثم صدر وعد بلفور. وانتهت المسألة الشرقية مع اندلاع الحرب العالمية الأولى وسقوط الدولة العثمانية .(١)

٢- فساد الحكام العرب .

والعامل الثاني في نجاح الاستراتيجية الصهيونية هو فشل الحكام العرب في التعامل الجدي مع قضية توطين الدول الغربية الاستعمارية اليهودَ في فلسطين ، واكتفائهم بالشكوى والتنديد بالأوضاع القائمة الظالمة دون السعي الحثيث لتغيرها.

لذا جاءت حركة القومية العربية وحركة المقاومة العربية الفلسطينية، وبخاصة في العقود الأولى من هذه الفترة ضعيفة غير قادرة على تعبئة الجماهير وتنظيمها ضد الاستعمارين الإنجليزي والصهيوني بتنظيمهما الحديث وعلاقاتهما العالمية وتعاونهما الوثيق داخل فلسطين وخارجها .

ودونك هذا المثال الذي يؤكد ضعف العرب ، لما بدأ الأتراك يفكرون في القومية التركية فكر العرب في القومية العربية في مقابلها ولجأ أحرار الناس من أعيان الشام إلى الهاشميين، لأننا نحن – العرب – دائما نفكر بعقلية قَبَلِيَّة ، ونحتاج لشيخ قبيلة – مع الأسف الشديد – باستمرار، لذا راح الناس الذين يتكلمون على القضية العربية والوعي العربي للأمراء الهاشميين. بدأ الأمراء الهاشميون يهتمون بالقضية العربية لكنهم لم يكن عندهم تَصَوُّر للدولة العربية التي يتكلم عليها أحرار العرب في الشام و مصر والمغرب إلى آخره. ويذكر محضر بريطاني "سئل فيصل بن الشريف حسين

(1) د. عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م٤ ج٢ الباب الثالث الدولة العثمانية.

خلال المحادثات عن موضوع فلسطين فأشار إلى أن العرب متقلون بأفضال بريطانيا العظمى وأنه لن يليق بهم أن يضعوا العراقيل أمام قضية يرون الحكومة البريطانية خير حَكَم فيها، ويعترف العرب بأن هناك مصالح متضاربة كثيرة تتركز في فلسطين ويقرون بادعاءات الصهاينة الأدبية، وهم يعتبرون اليهود أقارب سيسرهم أن يروا ما هو عادل من مطالبهم تُسْتجاب لأنهم يشعرون أن مصالح السكان العرب يمكن أن تودع بأمان في يد الحكومة البريطانية" واعتبرت الحكومة البريطانية أن هذا تفويض عربي . (١)

ويذهب الملك عبد الله – ملك الأردن – لجسر المجامع مع جولدا مائير قبل قرار التقسيم ويتفق معها على الحدود العربية الإسرائيلية .

الإسرائيليون حَكَمَتهم قضية تسابقوا لأجلها لكن نحن – العرب – حكمتنا باستمرار أسرة تسابقت لتأمين نفسها . هنا فرق، عندما تكون كل الخلافات التي بين فايتشمن وبن جوريون وجولدمان هؤلاء الناس كانوا أعداء جدا لكن المشكلة أن خلافهم كله كان في أيهم يستطيع أن يقدم أكثر للمشروع . نحن بنفس المقدار كان كل الناس المسئولين عن القضية كلهم كانوا موجودين وكلهم كان لهم عداءات لكن المشكلة أن عداءاتهم لم تكن سباقاً إلى أن أيهم يخدم أكثر هذه القضية وإنما أيهم أكثر يستفيد منها ! . أتصور أنا أن الوكالة اليهودية في ذلك الوقت كانت مُعَبِّراً شرعيّاً عن مشروع وعن أمل وعن حقيقة في حين أن النظم العربية التي قامت بعد الحرب العالمية الأولى والتي لا تزال مستمرة بشكل أو آخر في الدول العربية الحديثة لم تستكمل بعد أساسا حقيقيا يعطيها الشرعية . (٢)

---

(1) محمد حسنين هيكل برنامج مع هيكل حلقة خاصة بمناسبة مرور ستين عاماً على إنشاء دولة إسرائيل " فلسطين حق يأبى النسيان " . ج١ " ٢٠٠٨/٥/١٥ قناة الجزيرة .

(2) نفسه .

صدر كتاب عام ٢٠٠٨ بعنوان the accidental Empire " الإمبراطورية التي نشأت بمحض مصادفة " . والحقيقة إن إسرائيل لم تنشأ بسبب الصدفة بل بسبب الغفلة لأن كل عوامل القوة في إسرائيل المفترضة لم تكن كفيلة أنها تخلق إمبراطورية تبدو في هذه اللحظة هي القوة المتحكمة في هذه المنطقة وهي التي تضع جدول أعمال هذه المنطقة مع الأسف الشديد، إسرائيل ليست إمبراطورية بالمصادفة، إنما هي إمبراطورية لم تكن لديها مقومات أن تقوم لولا أن المجال الذي قامت فيه كان مخلخلا . (١)

إن كثيراً ممن تولوا قيادة الأمة العربية وجلسوا على العرش انصرفوا إلى نهب بيت مال الأمة ، وكانوا أعجز من أن ينهضوا بواجبات الحكم ، فهم ليسوا أفضل من كان يتعين عليهم الجلوس على العرش .

إن حكم الطغاة لا يولد إلا في البيئة الفاسدة ولا يستمر إلا في المجتمع الجاهل الذي يفقد وعيه وإحساسه بالحرية ، وفي غياب الديمقراطية ينمو حكم السادة ليتحكموا في العبيد ويستباح كل شيء . (٢)

إن العرب فشلوا في إقناع الرأي العام العالمي بعدم تقسيم فلسطين في حين نجحت الصهيونية في كسب تأييد القوى العظمى ، وكان من الطبيعي أن يأتي تصويت الجمعية العامة للأمم المتحدة لصالح تقسيم فلسطين ، وليت العرب عرفوا قدرهم ، وأقروا بعجزهم ، وقدَّروا قوة عدوهم واعترفوا بقرار الأمم المتحدة لهان الأمر ولجنَّبوا أنفسهم ويلات حروب لا نصيب لهم فيها إلا الهزائم النكراء .

ولكن الذي حدث على النقيض من هذا فالحكام العرب أرادوا أن يضيفوا إلى هزيمتهم السياسية هزيمة عسكرية أيضا تأتي على الأراضي الفلسطينية الباقية !!

---

(1) نفسه .

(2) نبيل هلال هلال " اعتقال العقل المسلم " دار الكتاب العربي ص ١٤٠ ، ١٤١

يقول الأستاذ محمد حسنين هيكل عن الدول العربية التي شاركت في حرب فلسطين : " إن هذه الدول العربية هي التي أضاعت ٧٨,٥% من أرض فلسطين، هل ممكن أن تتخيل أن هذه الدول العربية مجتمعة كلها وَضَعَت في ميادين القتال :

أولاً : ما لا يزيد عن ثلاثين ألف جندي على كل الجبهات، في حين أن إسرائيل وضعت ١٠١ ألف جندي ومتطوع .

ثانياً : كان عند إسرائيل على أقل تقدير من ١٢٠: ١٣٥ جنرالاً كانوا موجودين في الحرب العالمية الثانية يهود في الجيش السوفيتي في الجيش الأمريكي في الجيش الفرنسي وقد استدعوا جميعا لكي يقودوا المعركة .

ثالثاً : نحن – العرب – لم يكن لدينا فكرة عن الحرب ولم نكن داخلين لكي نحارب. نحن كنا داخلين بالاتفاق مع الدول المسيطرة، إنجلترا بالتحديد، أننا سوف نبقى في حدود قرار التقسيم .فدخلنا ملتزمين حدود التقسيم لم نتجاوزها، لم يتجاوزها منا أحد .

رابعاً : لمَّا اكتشف اليهود ضعفنا بدءوا يتجاوزون الحدود لدرجة أنهم اخترقوا الحدود المصرية وكادوا يطوِّقون الجيش المصري . (١)

فإذا كان حال الجيوش العربية بهذا الضعف ، والوحدة العربية بهذا التفكك ، والحكام العرب بهذا العداء و التخوين ، فلماذا أقدم حكام العرب على الحرب ؟

والجواب ببساطة أو بمرارة أن حكام العرب كان غرضهم من دخول الحرب ليس دحر العصابات اليهودية وإعادة حقوق الشعب الفلسطيني له أنما كان التحاسد والتباغض بين بعضهم البعض هو الغاية المنشودة من هذه الحرب فقد كان " الملك

(1) محمد حسنين هيكل برنامج برنامج " مع هيكل " حلقة خاصة بمناسبة مرور ستين عاما على إنشاء دولة إسرائيل " فلسطين حق يأبى النسيان ج١ " ٢٠٠٨/٥/١٥ قناة الجزيرة .

فاروق يضمر الحسد من الملك عبد الله " (١) فلكل منهما أهداف من الحرب مخالفة للآخر ولقد سعى كل واحد منهما إلى تكوين تحالفات لإفشال خطة الآخر " فالأردن تؤيده العراق أراد التدخل عسكريا كي يؤمن أجزاء من فلسطين التي خُصِصَتْ للدولة العربية حسب خطة التقسيم في حين أن مصر تؤيدها السعودية أرادت أن تعوق خطة الأردن / العراق بإلغاء التقسيم " (٢) .

لذا جاء قرار الملك عبد الله " بإلغاء منظمة الجهاد المقدس الفلسطينية ، وجميع القوى والعصابات التابعة لها ، وإلغاء جيش الإنقاذ المؤلف من المتطوعين ، وطلب إلغاء الهيئة العربية العليا لفلسطين ، ووضعت خطة محكمة لإبعاد الفلسطينيين من ميدان الجهاد والسياسة ، وعن كل ما يتعلق ببلادهم ومستقبلهم وحياتهم " (٣) .

لقد جاءت هذه القرارات متسقة مع إستراتيجية الملك عبد الله التي " بدت وكأنها تسير في توافق مع بن جوريون فما كاد يُسْتأنف القتال وتنهزم قواته في اللد والرملة – أو يسحبها عمداً – في مؤامرة بين جلوب والصهيونية ، حتى قرر الملك عبد الله إيقاف القتال بدون انتظار قرار مجلس الأمن "(٤) تاركا القوات المصرية تنهزم وتطرد مما استولت عليه من أراض (النقب) .

واستمر القتال بين العرب واليهود ينتقل من السيئ للأسوأ بالنسبة للعرب . وبدأت القوات العربية تنسحب من مواقع احتلتها كبئر سبع الذي سبق أن استولت عليه القوات المصرية بتضحيات وخسائر فادحة ، وازداد الأمر سوءا بحصار اليهود لقوات من الجيش المصري في الفالوجا .

---

(1) د. محمد نصر مهنا " صور من المشكلات السياسية في العالم المعاصر " ص ١٧ دار المعارف .
(2) نفسه ص ٢٨ .
(3) السيد محمد أمين الحسيني " حقائق عن قضية فلسطين " ص ٢٤ ط ٢ .
(4) د. محمد نصر مهنا " صور من المشكلات السياسية في العالم المعاصر " ص ١٨ مرجع سابق .

وفي النهاية وطبقاً لاتفاقيات الهدنة الدائمة حصلت إسرائيل على النصيب الأكبر ففي حين كان قرار التقسيم يعطي ٤٢.٨٨ % للعرب و ٥٦.٤٧ % لليهود ، أصبحت النسبة بعد الحرب واتفاق الهدنة ٢٢.٦ % للعرب ٧٧.٤ % لليهود .

ولقد قُسِّم الجزء المتبقي من أرض فلسطين بين الملك فاروق ملك مصر ، والملك عبد الله ملك شرق الأردن ، فقد قام الملك عبد الله بضم الضفة الغربية الفلسطينية ، وإعلان المملكة الأردنية الهاشمية ، وكذلك قام الملك فاروق بوضع قطاع غزة تحت الإدارته .

كان ذلك خطأً تاريخيّاً قاتلاً ، لم ينتبه إليه العرب ، ذلك لأنه كان الواجب العربي يحتم – إذا خلصت النوايا – أن تقام دولة فلسطين على ما تبقى من أراضي فلسطينية (الضفة الغربية ، وقطاع غزة) منذ إعلان الهدنة عام ١٩٤٩ ، ولا ينتظرون حتى تضيع كل الأراضي الفلسطينية في يونيو ١٩٦٧ ثم ينادون بحكم ذاتي للشعب الفلسطيني على أراضيه المحتلة بعد الخامس من يونيو ١٩٦٧ .

تصور كم عاماً أضاعها الحكام العرب على شعب فلسطين ؟! أربعة وأربعين عاماً (منذ إعلان هدنة رودس ١٩٤٩ إلى اتفاقية أوسلو ١٩٩٣) تغيرت فيها الأمور : قويت إسرائيل وكثر عددها وعتادها واستوطنت الأراضي المحتلة ، وضعف العرب وكثر اللاجئون الفلسطينيون واستوطنوا البلاد العربية ، لقد كانت القوى العربية قادرة على إيصال الضفة الغربية مع قطاع غزة بشريط أرض يمكن قيام دولة فلسطينية على الأرض التي كانت تحت السيادة الأردنية والمصرية ، ولكن عامل الوصاية على الشعب الفلسطيني أخَّر القضية لهذه الأعوام الطويلة ، ولو أن الشعب الفلسطيني تمكن من إدارة شئونه بنفسه لتغير وجه التاريخ في هذه المنطقة على الإطلاق ولكان ما يسعى الفلسطينيون للحصول عليه الآن قد تحقق عام ١٩٤٩ . (١)

(١) د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي " إسرائيل إلى زوال " دار الأمين للنشر والتوزيع ص ١٣٧

وقد كتب جلوب قائد القوات الأردنية في حرب فلسطين حول هذا الموضوع يقول " لست أعرف على مدى التاريخ عملا في مثل هذا القدر من الحمق والتهور أتى به رجال تقع عليهم مسئولية الحكم .. لقد ضاع مستقبل شعب فلسطين ضحية لتعدد السياسات العربية وعدم وضوح هدف نهائي للعمل بالإضافة إلى أنه لم يكن هناك حد أدنى للتنسيق بين هذه السياسات " (١)

٣- سلبية الشعوب العربية .

نتيجة لسنوات مديدة من قهر الحكام واستبدادهم ، وفتاوى حكام السلطان بحرمة الخروج على ولي الأمر – وإن جلد ظهرك وأخذ مالك ! – فإن السلبية والاتكالية أصبحتا من أهم سمات العربي وفي ذلك يقول د. أحمد عكاشة عن الشخصية العربية: " يتميز قطاع كبير من المصريين والعرب بسمات الشخصية الاعتمادية ، والسلبية العدوانية ، والاستهوائية . وتتميز الشخصية الاعتمادية الاتكالية باعتماد شامل على الآخرين أو السماح بتولي مسئولية جوانب مهمة في حياة الشخص ، وتسخير الاحتياجات الذاتية للآخرين الذين يعتمد عليهم الشخص ورضوخ غير مبرر لرغباتهم وعدم الاستعداد لمطالبة هؤلاء الآخرين الذين يعتمد عليهم الشخص بأي مطالب حتى ولو كانت منطقية . (٢)

لقد أسلمت الشعوب العربية قيادتها إلى حكام أقل ما يقال عنهم أنهم دون مستوى المسئولية ، وليسوا فوق مستوى الشبهات ، ومع ذلك قدمت الشعوب العربية مصلحة هؤلاء الحكام على مصالحهم ، وأمن الحكام على أمن البلاد والعباد . لقد ارتضت هذه الشعوب أن تبيع للحاكم حريتها ورخاءها وتقدمها وتشتري الأوهام ، والخطب العنترية التي أضحت مجدها وفخارها الوحيدين .

---

(1) د. محمد نصر مهنا " صور من المشكلات السياسية في العالم المعاصر " ص ١٧ مرجع سابق .
(2) د. أحمد عكاشة رئيس الجمعية العالمية لعلماء النفس من مقال له في نشر في جريدة الأهرام بتاريخ ٦/٧/ ٢٠٠١ .

لم تكن السلبية والاتكالية الصفتين اللتين وسمتا الشعوب العربية فحسب بل لقد تفشت فيهم كل أمراض القلوب كالنفاق ، والرياء ، والكبر ، والحقد ، والحسد ، والغرور ، وحب الرياسة والجاه ، وحب المال ..

وأمراض القلوب كثيرة وخطيرة فهي أشد فتكاً من أمراض الأبدان على الإنسان فأمراض الأبدان قد تورث توبة وإنابة إنما أمراض القلوب تورث الكفر والنفاق .

معاصي القلوب أخطر من معاص الجوارح وأخشى أن يكون ما ينتشر بيننا و بين غيرنا من عوج خاضع لهذا القانون ! لقد تذكرت حرب ١٩٦٧م التي خسر العرب فيها القدس وسيناء والجولان والضفة الغربية في حرب لم تدم إلا بضع ساعات ؟ .. ولو أن الذي قاد هذه الحرب أحد الخواجات لآثر أن يطلق على دماغه الرصاص واستحى أن يقابل أمته بهذا العار . لكن قائد الهزيمة عندنا عاد إلى قواعده سالماً ليكافئ من يقول له الحمد لله على سلامتك وليطارد من يقول له : كيف ألحقت بنا هذه الفضيحة . إن أوروبا لا تقبل أن يشيع فيها الانحراف الحيواني لا تقبل ولا يمكن أن تقبل أن يقع فيها هذا الانحراف الإنساني ، هذا هو الفرق بين الرذيلة عندنا وعندهم .. إن الكبر والحسد والافتخار بالنفس أو النسب أو المال ، وحب الخلاف وحب الظهور وحب السمعة ، والرغبة في التسلط والرغبة في هضم أولي الكفاية ، إن هذه الرذائل أشنع من ترك العنان للغريزة الجنسية تنطلق على النحو السيئ الموجود في ظل المدنية الحديثة ومن هنا فإن خصومنا لن يضارون كثيرا أو على عجل من عللهم كما نضار نحن المسلمين من آفات الرياء والكبرياء المبعثرة في كل ناحية . إن الإسلام – بداهة – عافية سابغة من أنواع العلل التي تستهلك النفوس ، والمجتمعات وهو يحارب صنوف المعاصي ويحصن أبناءه ضدها . (1)

(1) الشيخ محمد الغزالي " هموم داعية " دار البشير للطباعة والنشر ص ٨١ .

ثانيا : العوامل الغربية :

إن الصهيونية اليهودية لم يكن لها أن تظهر تاريخياً بالزخم الذي ظهرت به في نهاية القرن التاسع عشر لولا أن صهيونية الشعب الإنجليزي على طرفي المحيط الأطلسي تبنت كل أحلام هرتزل منذ نهاية القرن السادس عشر وإذا كانت الصهيونية اليهودية تستهدف " أرض فلسطين " فإن الصهيونية غير اليهودية تستهدف أرض إسرائيل وإسماعيل وإبراهيم بل تستهدف اليهود أنفسهم في النهاية وتتبنى أبشع مشاعر ما يدعى في التقليد الغربي بالعداء للسامية . (١)

عملت الإمبريالية الغربية التي أصبحت القوة العظمي بعد ضعف العرب والمسلمين على وسقوط الخلافة العثمانية :

١- اقتسام العالم العربي وتحويله إلى مستعمرات تابعة لها .

٢- تصدير كل المشاكل الغربية للعرب ، وإجبارهم على دفع كل فواتير التقدم الغربي .

٣- البطش بمن يقف في طريق تحقيق أهدافها العسكرية والاقتصادية .

" فالسلع الكاسدة كانت تصدر إلى أسواق الشرق، والمواد الخام الرخيصة كان يتم الحصول عليها من أفريقيا وآسيا عن طريق تحويلها إلى اقتصاديات متخصصة ملحقة بالاقتصاد الغربي وتحويل شعوبها إلى يد عاملة رخيصة. أما الفاشلون اجتماعيّاً (اللصوص . المجرمون . من لم يحققوا حراكاً اجتماعيّاً داخل الاقتصاد الرأسمالي) فكانوا يُصَدَّرون ، تماماً مثل السلع الكاسدة ، إلى المستعمرات في الشرق، خاصة الجيوب الاستيطانية " (٢)

---

(1) منير العكش " تلمود العم سام .. الأساطير العبرية التي تأسست عليها أمريكا " رياض الريس للكتاب والنشر ص ٢٩ .

(2) د.عبد الوهاب المسيري " الأكاذيب الصهيونية من بداية الاستيطان حتى انتفاضة الأقصى " الفصل السابع أزمة الصهيونية .

٤- القيام بزرع إسرائيل ذلك السرطان شديد الفتك ، سريع الانتشار في جسد البلاد العربية ، لتسخير العرب لتحقيق المصالح الغربية الاستعمارية .

٥- الدعم الخفي للنُظُم والجماعات المعروفة بتطرفها تجاه أمريكا وإسرائيل والتي تتبنى الخيار العسكري كحل وحيد – رغم قلة عددها وضعف قوتها – للصراع العربي الصهيوني (كالنظام السوري ، وحركة حماس ، وحزب الله ..) ومحاولة إظهار أصوات القادة العرب المعتدلة بمظهر الجبن والخيانة للقضايا العربية(كمصر ، والمملكة السعودية ، والأردن ، ومنظمة فتح الفلسطينية ، وكتلة ١٤ آزار اللبنانية ..) وهذا الدعم الخفي للجماعات والنُظُم المتطرفة تجاه أمريكا وإسرائيل له هدفان :

١- تمزيق الوحدة الوطنية ، وإشعال الحروب الأهلية بضرب المتطرفين بالمعتدلين كما حدث مع حماس وفتح ، وحزب الله وكتلة ١٤ آزار ، والشيعة والسنة في العراق،...

٢-اتخاذ مواقف المتطرفين ذريعة للعدوان العسكري ، أو الحصار الاقتصادي ، أو العزل السياسي ، أو الدعم اللا محدود للسياسة الصهيونية في المنطقة كما حدث هذا في الحرب الأمريكية / العراقية (٢٠٠٣)، الإسرائيلية / اللبنانية (٢٠٠٦)، الإسرائيلية / الفلسطينية (٢٠٠٨-٢٠٠٩) والحصار الاقتصادي المضروب على الفلسطينيين ، والعزلة الدولية المضروبة على سوريا وإيران .

والمدهش حقاً أن تقوم بهذا الدعم نيابة عن أمريكا وإسرائيل قناة فضائية كبرى تُبَث من الدولة العربية التي بها أكبر قاعدة أمريكية توجه منها أمريكا ضرباتها ضد أعدائها من العرب !!

٦- إفساد أخلاقياتنا وقيمنا ، بتصدير كل فكر هدَّام إلينا ، وكل فن خليع ، وكل زي متهتك تحت دعاوى التقدم والحرية !!

وللإجابة عن سؤال ماذا يريد منا الاستعمار ؟

يجيب مالك بن نبي :

" إن المستعمر يريد منا بطالة يحصل من ورائها يداً عاملة بثمن بخس فيجد منا متقاعدين، بينما الأعمال جدية تترقب منا الهمة والنشاط .

وهو يريد منا جهلة يستغلهم، فيجدنا نقاوم ذلك الجهد البسيط المبذول عندنا ضد الأمية .

وهو يريد منا انحطاطاً في الأخلاق كي تشيع الرذيلة بيننا، تلك الرذيلة التي تكون نفسية رجل " القلة " فيجدنا أسرع إلى محاربة الفضيلة، التي يحاول نشرها العلماء في بلادنا، وهو يريد تشتيت مجتمعنا وتفريق أفراده شيعاً وأحزاباً، حتى يحل بهم الفشل في الناحية الأدبية، كما هم فاشلون في الناحية الاجتماعية، فيجدنا متفرقين بالسياسات الانتخابية، التي نصرف في سبيلها ما لدينا من مال وحكمة .

وهو يريد منا أن نكون أفراداً تغمرهم الأوساخ، ويظهر في تصرفاتهم الذوق القبيح، حتى نكون قطيعاً محتقراً، يسلم نفسه للأوساخ والمخازي، فيجدنا ناشطين لتلبية دعوته.

وبذلك تكون العلة مزدوجة، فكلما شعرنا بداء المعامل الاستعماري الذي يعترينا من الخارج، فإننا نرى في الوقت نفسه معاملاً باطنيّاً يستجيب للمعامل الخارجي ويحط من كرامتنا بأيدينا . " (١)

ثالثا : العوامل اليهودية الصهيونية :

الحقيقة أن اليهود الصهاينة قد بذلوا مجهودات جبارة لتحقيق استراتيجيتهم وهي العودة إلى أرض الميعاد (فلسطين بزعمهم) ، وإخضاع جميع الأمم لسلطانهم .

(١) مالك بن نبي " شروط النهضة ومشكلات الحضارة " ترجمة عبد الصبور شاهين ص ١٤٧ مطبعة دار الجهاد .

وفي سبيل ذلك سعى الإنسان اليهودي إلى التبلور مع النظم الغربية بغية الوصول لمستوى يفوق غيره ليتمكن من فرض سيطرته عليه وتوجيهه إلى ما يحقق أهدافه " ومن ثم أصبح أعضاء الجماعات اليهودية من أكثر العناصر مقدرة على التحرك في المجتمع العلماني الحديث ، وأصبح لديهم من الكفاءة اللازمة للتعامل مع المجتمع العلماني الجديد أكثر مما لدى بقية أعضاء هذا المجتمع من المسيحيين أو حتى العلمانيين ذوي الجذور المسيحية ، فاستطاعوا أن يحققوا بروزاً وصعوداً بدرجة تفوق ما يحققه أقرانهم من القطاعات البشرية الأخرى في المجتمع . " (١)

نشاط اليهود الصهاينة وإخلاصهم لقضيتهم

إلى جانب العناصر الخارجية لا ينبغي أن نغفل دور اليهود الصهيونيين الذين استغلوا هذه الظروف لتحقيق حلمهم في الأمان والنفوذ فهم يريدون النفوذ الذي يحمي ضعفهم لذا توجهوا إلى المال، وبعد المال توجهوا للإعلام. يقول روتشيلد " أنا اليهودي التائه لا أريد أن أملك عقارا لا أستطيع أن أحمله معي حيث ذهبت، أن أريد أن أحمل ما أستطيع حمله و أهرب به إذا وَجَدْتُ الظروف مختلفة. " ولقد أضاف اليهود الصهاينة إلى قوة المال رؤى العصر أضافوا لها الإعلام، أضافوا لها نفاذاً في الإعلام .

قال رئيس تحرير الواشنطن بوست العتيد بن بريدلي لأستاذ حسنين هيكل " يوجد عشر وسائل إعلام في أميركا هي تحدد جدول أعمال الاهتمامات العالمية كلها. قوة الإعلام الأميركي هم موجودون فيه ". ويكمل هيكل مبينا نفوذ اليهود الصهاينة :

قوة الصورة دخلوا فيها وبالتالي أنت تتكلم عن جماعة إنسانية لها دور وتعرضت لاضطهادات ، لكن السؤال لماذا كان عليَّ أنا أدفع الفواتير . ؟!

(١) د. عبد الوهاب المسيري " اليد الخفية " الهيئة المصرية العامة للكتاب . ص ٢٢٨ .

قال هيرتزل وهو يتناقش حول وجوب كسب تعاطف العالم للمشروع الصهيوني عن طريق التباكي على اضطهادات الغرب لليهود : " نقول هذا الكلام لأناس آخرين ولكن أرجوكم أن تتذكروا أن الأوطان لا تقام بالدموع، والأماني لا تحقق بالدموع، نستطيع أن نبكي أمام الآخرين لكن في الداخل لا يجب أن نبكي " . (١)

لقد كان الدور الذِي لعبته الأسطورة الصهيونية فِي وهم الشعوب هائلاً، وليس بوسعنا أن نبين تأثِير اللوبي "جماعة الضغط" الصهيوني وفاعليته على المستوِي العالمي بِالاعتِمادِ فقط على قوة تنظِيمه، والوسائل السياسِية والمالِية الهائلة التِي يتحكم فِيها، ولاسيما ذلِك الدعم غير المشروط، وغير المحدود الذِي تقدمه الدولة الأمريكية، نعم، إن هذِهِ القوة تلعب دون رِيب دورا عظِيماً ولكن قبول هذِهِ الأسطورة الفجَّة، بقدر كبِير من حسن النية، وقبول نتائِجها السياسِية الموغلة فِي الدموِية . يبقى غير مفهوم، إذا لم نَتَذَكَّر ذلِك العبث الإيديولوجي الذِي اِستمر قرونا طويلة، والذِي خلقت بِهِ الكنِيسة المسِيحِية هذِهِ "الصهيونية المسِيحِية"، التِي كانت مجالا قابِلا للاستغلال بِسهولة مِن جانِب دعاية الصهيونية السياسِية، والدولة الإسرائيلية. (٢)

الصهيونية والحروب العربية

لقد استغل زعماء الصهيونية جرائم القتل التي حدثت لليهود – والتي شاركوا في بعضها بالتعاون مع النازيين أو قاموا هم أنفسهم بها – من أجل تخويف اليهود وخاصة الأغنياء والعلماء والشباب وإجبارهم على الهجرة إلى فلسطين – عندما لاحظوا إحجامهم عن ذلك ، كما استغلوها في ابتزاز من قاموا بهذه الجرائم ماديّاً وسياسيّاً .

---

(1) محمد حسنين هيكل برنامج مع هيكل حلقة خاصة بمناسبة مرور ستين عاما على إنشاء دولة إسرائيل " فلسطين حق يأبى النسيان ج١ " ٢٠٠٨/٥/١٥ قناة الجزيرة .

(2) رجاء جارودي " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " الباب الثاني ، الفصل الأول : العهد القديم وميلاد الصهيونية المسيحية .مرجع سابق .

ولكي يعمل زعماء دولة إسرائيل على التأليف بين هؤلاء المهاجرين أو المهجرين الذين ينتمون إلى حوالي ١٠٠ جنسية مختلفة فإنهم عمدوا إلى إثارة الحروب مع العرب من أجل هدفين :

١- توحيد هذه الجماعات المتباينة دينيا وثقافيا وجنسيا تحت شعار إما أن تتحدوا وإما أن يبيدكم العرب بقيادة عبد الناصر أو صدام حسين أو أحمدي نجاد أو أسامة بن لادن أو حسن نصر الله أو قادة حماس ...

٢- التوسع على حساب البلاد العربية وتحقيق أسطورة أرض إسرائيل من النيل للفرات .

وكما أن العرب يدفعون ثمن هذه السياسة النازية التي نهجها زعماء إسرائيل فإن اليهود يدفعون الثمن كذلك ، فكثيرة هي دماء اليهود الإسرائيليين التي تراق دون سبب إلا طموحات زعماء إسرائيل العدوانية التوسعية .

فخمسة حروب من الحروب الستة التي جرت بين إسرائيل والدول العربية كانت حروباً عدوانية شنها زعماء إسرائيل النازيين ضد العرب المسالمين ، فقادة العرب بعد حرب ٤٨ لم يفكر أحد منهم في الاعتداء على إسرائيل ، وعبد الناصر (الذي كان يدعوه الصهاينة النازي الجديد) لم يكن عدوّاً حقيقيّاً لإسرائيل فلقد اعترف في وقت مبكر جداً (في مؤتمر باندونج ١٩٥٥) بقرارات الأمم المتحدة عامي : ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ بشأن تقسيم فلسطين إلى دولتين : عربية ويهودية ، ولم يقم بأي إجراء عسكري ضد إسرائيل رغم الاستفزازات الإسرائيلية المتكررة ، وبعد جلاء العدوان الثلاثي وتوقيع اتفاقيته تأكد اعتراف عبد الناصر – الرسمي – بإسرائيل وبحقها في الوجود ، وبحرية الملاحة الإسرائيلية في خليج العقبة ، وبعد هزيمة ١٩٦٧ أعلن قبوله لقرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢، ولمشروع روجرز وزير الخارجية الأمريكية ،

اللذان يعدان أساساً لمعاهدة السلام التي وقعها السادات مع الإسرائيليين عام ١٩٧٩، وتاريخ عبد الناصر يؤكد مهادنته لإسرائيل .(١)

عوامل تفوق اليهود الصهاينة:

ومن أبرز عوامل تفوق اليهود :

١- العمل على الاحتفاظ بدورهم كقاعدة للاستعمار الغربي، وكقلعة أمامية له ، تدافع عن أمنه ومصالحه. وقد ضمن لها هذا الوضع الدعم الغربي، العسكري والسياسي والاقتصادي، الدائم.

٢- الدعاية اليهودية الصهيونية ذات مقدرة تعبوية عالية ، وذات صيغ مراوغة من الصعب كشفها إلا بعد عملية اختبار تستغرق وقتا طويلاً. فقد ادعت الصهيونية أن اليهود شعب واحد وهو ادعاء ليس له ما يسانده في الواقع. ومع هذا طرح هذا الشعار، وكأنه حقيقة قائمة، وصدقه الكثيرون بما في ذلك أعضاء الجماعات اليهودية. كما أنها ادعت أنها حركة يهودية وليست استعمارية استيطانية إحلالية، وهو ادعاء وجد صدى لدى الكثيرين في العالم الغربي، بين اليهود وغيرهم، فهذا الادعاء يبرر عمليات السفك والبطش ويريح ضمير الإنسان الغربي . (٢)

٣- السيطرة على الإعلام الغربي : صحافة ، وإذاعة ، وتليفزيون وهو ما جعلهم في موقع متميز يمكنهم من تسليط الأضواء على الأنشطة التي يقومون بها .

٤- التمركز في المدن وهي مراكز صنع القرار في كل أنحاء العالم .

---

(1) لمزيد من التفصيل حول علاقة عبد الناصر بإسرائيل انظر كتابنا " أمريكا وعبد الناصر " دار غريب

(2) لمزيد من التفاصيل عن عوامل نجاح الصهيونية الرجوع لكتاب " الأكاذيب الصهيونية من بداية الاستيطان حتى انتفاضة الأقصى " د. عبد الوهاب المسيري ، كتاب " اليهود والصليبيون الجدد الدجل الديني والسياسي " للمؤلف .

٥- شغل كثير من اليهود مناصب مهمة في الحكومات الأمريكية المختلفة .

٦- اللوبي اليهودي الذي بإمكانه إنجاح أي مرشح لرياسة أمريكا لذا فإن كل رئيس لابد أن يخطب ودهم ويتعهد لهم بالاستمرار في الدعم الأمريكي لإسرائيل .

٧- العمل على منع قيام تحالفات بين أمريكا والدول العربية تضر بمصلحة إسرائيل في المنطقة .

٨- تمويل رحلات الباحثين والسياسيين الأمريكيين إلى إسرائيل .

٩- تعقب اليهود لكل من يقف في وجه مخططاتهم إما بالتصفية الجسدية ، أو بالاتهام بمعاداة السامية ، أو بالتشهير به ، أو إغرائه بالمال أو المناصب أو أية إغراءات أخرى حتى يتنازل عن القضية العادلة التي يدعو إليها .

١٠- تمركزهم في بعض المهن البارزة مثل الطب والجامعات والمراكز العلمية

١١- أن اليهود هم المتحكمون في الاقتصاد العالمي بما يملكون من كبرى الشركات و البنوك ، فإذا كان الاقتصاد العالمي يتحكم فيه خمس شركات كبرى فأصحاب هذه الشركات يهود .

١٢- أن أي عمل إيجابي يهدف إلى خدمة الإسلام والعروبة فإنهم يسعون جاهدين لإحباطه وإجهاضه .

١٣- استغلال اضطهاد هتلر لهم ، واتهام كل خصومهم بمعاداة السامية . وهذه الكلمة لها تأثيرها الكبير على المجتمع الغربي لأنها تذكرهم بعقدة الذنب التي كان سببها ما فعله هتلر النازي مع اليهود حيث أحرق منهم نحو ستة ملايين يهودي – بزعم اليهود – وإن كان العدد أقل من هذا بكثير .

١٤- العمل على إنتاج فيلم سنوياً – على الأقل – للدعاية لأفكارهم أو اكتساب تعاطف العالم معهم .

١٥- الحرص على تطبق النظام الديمقراطي في إسرائيل للظهور أمام العالم الغربي بأنهم الدولة الوحيدة من بين دول منطقة الشرق الأوسط التي تطبق الديمقراطية يعكس كل أنظمة الدول العربية التي تتبع النظم الشمولية الديكتاتورية الفاشستية المستبدة .

يجب أن نتعلم من اليهود كيف أقاموا دولة إسرائيل رغم تعدد الجنسيات واختلاف الطبائع ورغم الأخطار المحيطة بهم من كل جانب فقد كانوا كقارب صغير وسط محيط عربي كبير وعميق . نَعَم الغرب ساعدهم بالسلاح لكنهم هم الذين قاتلوا ، نعم القوي العظمى أيدتهم لكن هم الذين حوَّلوا هذا التأييد إلى دولة قوية قادرة على أن ترهب أعداءها ...

وإليكم بعض الأمثلة من التاريخ المعاصر التي تؤكد أن نجاحهم كان منطقيّاً، فإن أنفسهم لم تكن معلولة من باطنها، ولم يكن من مُعوِّق داخلي يمسكهم عن التقدم، ويَحُطُّ من قيمة أنفسهم بأنفسهم . على حد قول المفكر الجزائري الكبير مالك بن نبي.

المثال الأول : في إعداد العدة ، والأخذ في الأسباب .

لم يكن سوء السياسة العربية تجاه إسرائيل ، هو وحده الذي أدى إلى إقامة الدولة الصهيونية في فلسطين بل كان للكفاءة اليهودية النادرة أعظم الأثر في إقامة هذا الدولة ؛ فقد استطاع اليهود استمالة الدول العظمى ، ومن يدور في فلكها للتصويت في " الجمعية العامة للأمم المتحدة " لصالح مطالبهم الظالمة في المقابل عجز ممثلو العرب عن كسب أي تعاطف مع قضيتهم العادلة هذا على المستوى الدبلوماسي .

فإذا جئنا إلى ساحة القتال فإننا نجد أن العصابات اليهودية كانت على أتم استعداد للحرب عدة وعتاداً ، وتخطيطا وتدريباً ، وشجاعة وفدائية ، وروحاً قتالية ، وقيادة واعية مخلصة ، في مقابل أن الجيوش العربية كانت دون ذلك حتى على مستوى

العدد فضلا عن افتقارها لكل مقومات الانتصار فلا تخطيط محكم ، ولا تدريب منظم ، ولا قيادة واعية ، ولا سلاح حديث ، ولا نية صادقة للحكام للقتال إنما دخل الحكام العرب الحرب ليس بغرض منع إقامة دولة يهودية على الأرض العربية إنما لغرض الدعاية الشخصية ، واستعراض القوة ، وللمزايدة على القوى الوطنية وعلى الحكام العرب كل ذلك ليس من أجل القضية الفلسطينية بل من أجل تقوية مكانتها في بلادها بعدما فشلت في إجلاء الاحتلال ، كما فشلوا في إدارة شئون البلاد بتحسين أحوال الشعوب اقتصاديّاً واجتماعيّاً .

المثال الثاني : في القضاء على الفساد ، والضرب على يد المفسدين .

بعد قيام دولة إسرائيل حرص بن جوريون على تجنيب جيش الدفاع الإسرائيلي ثلاثة أمور اعتبرها جوهرية :

أولاً : أي نوع من أنواع الفساد .

ثانياً : عدم الانضباط .

ثالثاً : البعد الكامل عن التيارات السياسية .

بعد العدوان الثلاثي على مصر وتمكُّن إسرائيل من احتلال سيناء كاملة ، واضطرارها للانسحاب منها بسبب الضغط الأمريكي والروسي وقرار مجلس الأمن – وليس بسبب قدرتنا العسكرية ، ولا المقاومة الشعبية كما يدعي البعض زوراً وبهتاناً – اهتز الجيش الإسرائيلي بأسره " نتيجة محاكمة عسكرية ، حيث اعترف أحد المتهمين أنه كان شريكا في عملية تهريب **كيسين من السكر** من الجيش الإسرائيلي إلى السوق السوداء ، وبحسب قول المتهم فلقد عرف ضابط كبير في الجيش الإسرائيلي بالأمر ، وغض النظر رغم علمه بهذه المخالفة ، وتدرجت الأمور حتى علم بها بن جوريون –

رئيس وزراء ووزير الدفاع – الذي لم يتردد لحظة واحدة في إصدار تعليمات فورية **بإعفاء الضابط الكبير من الخدمة العسكرية** وأعلن ذلك من على منبر الكنيست مع إبداء أسفه الشديد ، وقد وقع خبر تسريح هذا الضابط الكبير على الجيش الإسرائيلي كالرعد فقد كان ذلك الضابط من أكفأ ضباط الجيش الإسرائيلي وتنبأ له الكثيرون بمستقبل عسكري مشرف ، وعندما سئل بن جوريون لماذا أمر بالاستغناء عن خدمات هذا الضابط قال :

" **علينا أن نحافظ على جيشنا نظيفاً** " (1)

المثال الثالث : في انتصار الفرد على البيئة ،والقيام بالواجبات لكسب الحقوق :

إن الفئة اليهودية في الجزائر أثناء حرب فلسطين كانت تعيش ساعات شديدة من الاضطهاد ، كانت الدوائر الحكومية تحكمهم بقوانين قاسية ، تنغِّص عليهم حياتهم في كل ميدان . كان أبناؤهم يُنْبَذون من دور التعليم ، وتجاراتهم تُعَرْقَل بمختلف القوانين ، وكانوا في هذه الحقبة على وشك أن تصيبهم العوامل التقليلية، التي قللت من قيمتنا نحن المسلمين ، غير أنه سرعان ما قام اليهود برد الفعل. فتكونت مدرسة سرية في كل بيت من بيوتهم، يدرِّس فيها أساتذة متطوعون ، فيهم المهندس والطبيب والمحامي، يتطوعون بلا ثمن. وقد عمَّروا معابدهم أكثر من ذي قبل، في حين أن أعمالهم التجارية قد استرسلت في نشاطها، أحسن وأقوى من الماضي، بفضل تعاضدهم في الضراء على مبدأ (الجميع للفرد والفرد للجميع). وهكذا أُتِيح لليهود أن يجتازوا ساعات الخطر ساعين منتصرين رغم ما كانوا يعانون من معوقات خارجية سلطت على حياتهم في كل جزئياتها. ولقد كان نجاحهم منطقيّاً، فإن أنفسهم لم تكن معلولة من باطنها، ولم يكن من مُعَوِّق داخلي يمسكهم عن التقدم، ويَحُطُّ من قيمة

(1) عن كتاب " التقصير " الذي أصدر، سبعة من المراسلين العسكريين اليهود ، نقلا عن كتاب " حرب أكتوبر شهادة إسرائيلية " وجيه أبو ذكري ص ١١ مؤسسة أخبار اليوم ١٩٨٧ .

أنفسهم بأنفسهم. وإننا لنجد في نجاحهم المثل لانتصار الفرد على البيئة، مهما كانت ظروف حياته، وإنَّ لنا في ذلك درساً يعلمنا كيف يتعلم الأطفال بلا مدارس مفتوحة؛ وكيف تنشط حياة قوم تحت الضغط والمراقبة. وهكذا يؤدي القيام بالواجبات إلى كسب الحقوق." (١)

ولم يكتف اليهود الصهاينة بالاعتماد على الغرب في العلم والتكنولوجيا ، بل عملوا على منافسته بشدة في هذين المجالين ولقد استطاعت إسرائيل أن تصبح في وقت وجيز من أكبر دول العالم إنتاجاً للتكنولوجيا المتقدمة ، ومن أكبر دول العالم مساهمة في مجال العلوم الحديثة ، ويعد التعليم فيها من أرقى مستويات التعليم في العالم ، كما أن جامعاتها لتعد من أفضل جامعات الدنيا .

أصدرت جامعة "جياوتنج" الصينية تقريراً دوليّاً عن أفضل ٥٠٠ جامعة على مستوى العالم ،وفقاً لمعايير وشروط موضوعية محددة منها عدد الأساتذة الحاصلين على جوائز عالمية ونتائج الأبحاث العلمية والأبحاث المنشورة في المجلات العلمية رفيعة المستوى ،حجم الجامعات من حيث عدد التخصصات بها وأعداد الطلاب حسب النسب المعيارية وخرج هذا التقرير دون أن يتضمن جامعة عربية واحدة بينما ضمت القائمة ٧ جامعات إسرائيلية و ٤ جامعات من جنوب أفريقيا و ٤ من البرازيل و ٣ من الهند و ٢ من سنغافورة وواحدة لكل من الأرجنتين وشيلى، واحتلت الولايات المتحدة الأمريكية المركز الأول يليها الدول الأوروبية الأخرى فيما بلغت القائمة الكاملة ٣٤ دولة .

ويعتبر الدكتور أحمد كامل حجازى (الأستاذ بكلية العلوم جامعة القاهرة) هذا التقرير "لطمة" للأمة العربية فطبقاً لتقرير التنمية البشرية الأخير فإن نسبة إنفاق الدول

(١) مالك بن نبي " شروط النهضة ومشكلات الحضارة " ترجمة عبد الصبور شاهين ص ١٤٨ مطبعة دار الجهاد .

العربية بالمقارنة بالإنفاق العام على البحث العلمي أقل من ١% سنوياً وفى مصر ٠.٣% فيما تصل في اليابان إلى ٢٤% وأوروبا إلى ٣٦% وأمريكا ٣٤% وإسرائيل ٦% أي أنها ضعفنا ١٨ مرة وفى اليابان ضعفنا ٧٢ مرة فهل هذا معقول؟

وهذا ما مكَّن دولة إسرائيل من الانفصال عن المخطط الصليبي واللعب لصالحها هي ، وإن كانت تحرص أشد الحرص على الرباط المقدس الذي يربطها بالغرب خاصة أمريكا ، لكن كل ما هنالك أن تغيرت العلاقة بدلا من تبعية كاملة وتحمل كل المغارم ، إلى المشاركة الفاعلة واقتسام كل الغنائم .

لذا لا نعجب أن أمريكا بدأت تتخلص من الاعتماد على إسرائيل وحلفائها كراعية لمصالحها في الشرق بأن جاءت بنفسها لترعي مصالحها دون وساطة إسرائيل .

فأوعزت لصدام بغزو الكويت لتتمكن من غزو العراق بمال دول الخليج ، والجنود العرب ، واستغلت أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ لتحتل أفغانستان وتبسط نفوذها على شعوب العالم – خاصة العالم العربي – بحجة مكافحة الإرهاب !

***